الفصل الأول

"وصايا لقمان"

وصايا لقمان

قال تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (١)

١ - سورة لقمان الآيات من { ١٣: ١٩}.

الحكيم لقمان

هو أحد الحكماء الذين ذكرهم القرآن الكريم . وهو أحد حكماء بني إسرائيل وكان وليًّا ولم يكن نبيًّا .

وقيل هو لقمان بن عنقاء بن سدون [١] وقيل إنه لقمان بن ثاران وكان من أهل مدينة أيلة .

وعرف عن لقمان أنه كان رجلاً حكيمًا عابدًا زاهدًا وقيل إنه كان قاضيًا في زمن نبي الله سيدنا داود عليه السلام وظل يقضي بين بني إسرائيل إلى أن أرسل الله ﷻ سيدنا داود عليه السلام فانقطع لقمان عن الفتوى وقد أعطى الله ﷻ لقمان العلم والحكمة فكان من الشاكرين لله ﷻ وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ... ﴾ [٢]

وقد آتاه الله خيرًا كبيرًا وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ...وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا... ﴾ [٣]

وكان لقمان يعمل راعيا للغنم وكان أسود اللون . وكان مقصد الناس عند وقوع الخلاف بينهم وكان الجميع يخرجون من عنده وكلهم رضا لما آتاه الله من العدل والحكم بين الناس.

---

١ - قصص القرآن صـ ٤٣٨.
٢ - سورة لقمان من الآية ١٢.
٣ - سورة البقرة من الآية ٢٦٩.

ولذلك دخل على لقمان ذات يوم رجل بعد ما بلغه علم وحكمة وعدل لقمان فلما دخل هذا الرجل على لقمان وجده أسود اللون فقال هذا الرجل للقمان (أنت راعي الغنم الأسود) .

فقال لقمان : نعم أما سوادي فظاهر فما الذي يعجبك من أمري ؟.

قال: هذا الرجل .

وطء الناس بساطك وغشيانهم بابك ورضاهم بقولك . قال يا بن أخي صنعتك ما أقول لك كنت كذلك قال وما هو ؟

قال لقمان : غض بصري وكف لساني وعفة مطعمي وحفظي لفرجي ، وقيام بعدتي ، ووفاء بعهدي وتكريمي ضيفي ، وحفظي جاري ، وتركي ما لا يعنيني فذاك الذي صبرني كما ترى .

فتلك هي أخلاق هذا الحكيم لقمان الذي عاش عليها وأراد أن يهديها إلى ابنه أعز الناس عنده ولذلك أوصاه .

وقيل إن لقمان من أهل السودان لقول رسول الله : من خير الناس ثلاثة من السودان : (بلال ومهجع مولى عمر ولقمان الحكيم) [1].

وقال له أحد الناس مالي أراك غليظ الشفتين فقال:" ولكي يخرج من بينهما كلام رقيق".

١ - البداية والنهاية صـ٥٠٣ م١.

ومن وصاياه لابنه :

١. عدم الشرك بالله .

٢. بر الوالدين فيما لا يغضب الله .

٣. إقامة الصلاة .

٤. إتباع سبيل الأنبياء .

٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦. الصبر على البلاء .

٧. عدم التكبر على الناس وألا يصعر خده للناس .

٨. القصد في المشي .

٩. غض الصوت .

ومن وصايا لقمان لابنه قوله : [١]

(يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تأتك الأرباح من غير تجارة).

وقوله :

(يا بني اتق الله . ولا تُرِ الناس أنك تخشى الله ينكر مولاك بذلك وقلبك فاجر).

وقوله لابنه :

(يا بني اختر المجالس على عينك فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله ﷻ فاجلس معهم فإنك إن تك عالمًا ينفعك علمك وإن تك غبيًّا يعلموك .وإن يطلع الله عليهم برحمة تصيبك معهم ، يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر الله فيه فإنك إن تك

١ - قصص القرآن صـ ٣٥٢

عالـمًا لا ينفعك علمك وإن تـك غبيًّا يزيـدوك غبـاء ، وإن يطلـع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم . يا بني لا تغبط أميرًا رحب الزراعين يسفك دماء المؤمنين فإن له عند الله قائلاً لا يموت).

ومن أقوال لقمان لابنه :

(يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير. فاجعل سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الإيمان وشراعها التوكل على الله تعالى لعلك تنجو وما أراك ناجيًا).

ومن أقواله (يا بني إياك والدَّيْن فإنه ذل بالنهار وهم بالليل) .

ومن أقواله(يا بني إياك والكذب فإنه أشهى كلحم العصفور عما قليل يقلى).

ومن أقواله (يا بني زاحم العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور العلم كما يحيي الأرض بوابل المطر).

ومن أقواله : إن يد الله على أفواه الحكماء ، لا يتكلمون إلا ما هيأ الله لهم .

وكان لقمان يقول : (أطيب ما في الإنسان القلب واللسان إن أخلص ، وأخبث ما في الإنسان القلب واللسان إن ضل).

الوصية الأولى

عدم الشرك بالله

كانت الوصية الأولى والهدية الغالية من هذا الحكيم لقمان إلى ابنه هي عدم الشرك بالله لأنه أكبر الكبائر ولأن الشرك أول أبواب الكفر وقد يكون الكفر بعيدًا عن عبادة الأصنام بأن يعتقد الإنسان في غير الله . أو يتوسل إلى غير الله ﷻ وقد يكون للكفر العديد من المظاهر الأخرى مثل الاعتقاد في غير الله بالنفع والضرر وكل من يساوي ذلك من العقائد الفاسدة التي يعتقد فيها الإنسان إما عن جهل وإما عن ضعف في الدين .

وقد نهى الله ﷻ عن الكبائر وفعلها وذلك لقول الله تعالى :

﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (١)

لأن من صفات المؤمنين بالله ورسوله اجتناب هذه الكبائر والفواحش الظاهرة و الباطنة وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (٢)

وكل الذنوب لها كفارة إلا الشرك بالله .

وذلك لقول الرسول ﷺ (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان مكفرات لما بينهم إذا اجتنبت الكبائر) (٣).

---

١ - سورة النساء الآية ٣١.
٢ - سورة الشورى الآية ٣٧.
٣ - رياض الصالحين ص ٢٥٤.

والشرك بالله من أكبر الكبائر ومن السبع الموبقات . لقول رسول اللهﷺ : (اجتنبوا السبع الموبقات ، وذكر رسول الله منهن الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)[1].

والله يقبل التوبة من العبد إذا كانت خالصة إلا خطيئة الشرك بالله ﷻ فإنه ليس لها توبة .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ... ﴾[2]

والشرك معناه أن تجعل مع الله شريكا في العبادة أو العقيدة سواء كان حجرًا أو صنمًا أو قمرًا أو شمسًا أو إنسانًا أو شيخًا أو نجمًا أو غير ذلك مما كان يعبد ويتقرب الناس إليه في الجاهلية والمشرك بالله حرم الله ﷻ عليه الجنة ومصيره النار وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ...إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ... ﴾[3]

ومن أشرك بالله ﷻ ثم مات فقد مات مشركا بالله وذلك لقول الرسول ﷺ لأصحابه : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثًا، قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الشرك بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئًا فجلس وقال : ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور. فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت)[4].

---

١ - الكبائر ص ٨ .
٢ - سورة النساء من الآية ٤٨.
٣ - سورة النساء من الآية ٤٨.
٤ - الكبائر ص ٨.

وقال رسول الله (اجتنبوا السبع الموبقات وقد أمر رسول الله ﷺ بقتل المرتد عن دين الإسلام وذلك لقول رسول الله ﷺ (من بدل دينه فاقتلوه) [١].

والنوع الثاني من الشرك بالله هو :

الريـــــاء:

والرياء نوع من أنواع الشرك بالله لأنه يجعل العمل غير خالص لوجه الله ﷻ وذلك لقول تعالى :

﴿ ...فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [٢]

والرياء من أنواع الشرك بالله وذلك لقول رسول الله ﷺ " إياكم والشرك الأصغر". قالوا : يا رسول الله . وما الشرك الأصغر [٣] : قال رسول الله ﷺ : الرياء.

ويقول رسول الله ﷺ : يقول رب العزة (اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم في الدنيا . فانظروا هل تجدون عندهم جزاء) [٤].

ويقول رسول الله ﷺ : يقول الله تعالي :(من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري فهو للذي أشرك وأنا منه بريء) [٥].

ويقول رسول الله ﷺ : (من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به).

---

١ - الكبائر ص ٩.
٢ - سورة الكهف الآية ١١٠.
٣ - الكبائر ص ٩.
٤ - الكبائر ص ١٠.
٥ - الكبائر ص ١٠.

ويقول رسول الله ﷺ : (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر)[1].

وهذا الحديث يشير إلى أن الصوم والصلاة والإنفاق في سبيل الله إذ لم يكن لوجه الله فلا ثواب عليه . وهو بذلك يكون من الرياء لأنه كان يصلي من أجل أن يقال إن هذا الرجل يصلي وقد قيل ذلك وأنه ينفق في سبيل الله من أجل أن يقال عنه إنه رجل كريم سخي منفق . وقد قيل ذلك فلا ثواب من الله ﷻ لأن هذا العمل ليس لوجه الله ﷻ .

ولذلك كانت الوصية الأولى من وصايا لقمان لابنه عدم الشرك بالله وذلك لقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2]

لأن الرياء يحبط الثواب ويجعله يذهب هباء منشور وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[3]

لأن صاحب الرياء يعمل عملاً أمره الله ﷻ به وهو يقصد من وراء هذا العمل إرضاء غير الله ﷻ والله ﷻ هو وحده صاحب النعيم والمستحق لهذا الشكر.

ولذا يجب على العبد أن يخلص لله في العمل وأن يكون عمله خالصا لوجه الله ﷻ وألا يدعو إلا الله ﷻ وذلك لقول الله تعالى :

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ .. ﴾[4]

---

١ - الكبائر ص ١٠.
٢ - سورة لقمان الآية ١٣.
٣ - سورة الفرقان الآية ٢٣.
٤ - سورة الإسراء من الآية ١١٠.

لأن الله ﷻ هو الذي خلق الإنسان في أحسن صورة وسخر كل ما على الأرض وما في السماء وما بينها لنفع الإنسان . وأنه هو الذي يحيي ويميت وهو الرزاق الفعال لما يريد القادر وغيره ليس بقادر .

وهو عالم الغيب والشهادة وعنده علم الساعة وعلم كل شيء وذلك لقوله تعالى :

﴿.... عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ... ﴾[1]

والله ﷻ أمر الناس بعبادته وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[2]

وكان رسول الله ﷺ يوصي أصحابه بعدم الشرك بالله ﷻ فعن معاذ بن جبل قال : أوصاني رسول الله ﷺ قائلاً : " لا تشرك بالله . وإن قتلت وحرقت . ولا تعُقَّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدًا فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله ولا تشرب خمرًا فإنها رأس كل خطيئة وإياك والمعصية فإنها تحل عليك ، سخط الله، وإياك والفرار من الزحف. وإن هلك الناس وإن أصاب الناس موت فاثبت ! وأنفق على أهلك من مالك ولا ترفع عمن عصاك أدبًا وأخفهم في الله [3] .

والله ﷻ قد حرم على عباده الشرك بالله وذلك لقول الله تعالى :

﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ... ﴾[4]

---

١ - سورة الحشر من الآية ٢٢.
٢ - سورة البينة الآية ٥.
٣ - وصايا الرسول صـ ١٠٣.
٤ - سورة الأنعام من الآية ١٥١.

يقول سيدنا عثمان بن عفان إن الله حرم على النار كل من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله ﷻ.

لذلك يجب على الإنسان أن يكون عمله كله سره وعلانيته خالصا لوجه الله ﷻ وذلك لقول الله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ.. ﴾[1]

وقد ورد في القرآن الكريم الآيات العديدة التي تحذر الإنسان من الشرك بالله ﷻ.

والذي يشرك بالله مصيره نار جهنم شديدة العذاب حتى إنه يقول:

﴿ ....وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾[2]

وهذا الندم ليس له فائدة لأنه لا ندم بعد الموت ولا توبة بعد الموت .لأن الشرك ضلال مبين وذلك لقوله:

﴿.... وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[3]

وقد حرم الله الزواج من المشركين وذلك لقول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ....﴾[4]

---

١ - سورة الأنعام من الآية ١٦٢.
٢ - سورة الكهف من الآية ٤٢.
٣ - سورة النساء من الآية ١١٦.
٤ - سورة البقرة من الآية ٢٢١.

الوصية الثانية

الوصية بالوالدين

وكانت الوصية الثانية من لقمان لابنه هي الوصية بالوالدين لما لهما من الفضل علينا وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا... ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ .... ﴾ (٢)

وقال تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ .... ﴾ (٣)

وقال تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (٤)

---

١ - سورة لقمان الآية ١٤ ومن الآية ١٥.
٢ - سورة النساء من الآية ٣٦.
٣ - سورة العنكبوت من الآية ٨.
٤ - سورة الإسراء الآيتان ٢٣، ٢٤.

وقال تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ... ﴾ (١)

ومن هذه الآية كانت وصية لقمان الحكيم لابنه ولكل ابن من بعده وقد ذكرها القرآن الكريم لتكون منهاجًا لكل مسلم يوصي بها أبناءه بفضل الوالدين وما كان منهم من الجهد الكبير في حمل الأم والولادة ومتاعبها وتحمل مشاقّ الحياة اليومية من أجل تربية الأولاد من إعداد الطعام والشراب وغسيل الثياب والإرهاق الذهني والنفسي لأحوال الأبناء حتى بعد زواجهم واعتمادهم على أنفسهم وأن الأبناء مهما قدموا للآباء والأمهات فلن يوفوهم أجورهم .

ولذلك أوصى الله ﷻ بمصاحبة الأم والأب وعدم فعل أي عمل أو قول يحزن الأب والأم وصدق قول رسول الله ﷺ حينما قال : (بروا آباءكم تبركم أبناؤكم) (٢).

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم . قامت الرحم . فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى قال : فذاك لك . ثم قال رسول الله ﷺ اقرءوا إن شئتم :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ (٣)

---

١ - سورة لقمان من الآية ١٤.
٢ - الكبائر ص ٤٢.
٣ - سورة محمد الآيتان ٢٢، ٢٣.

ويقول أحد الصحابة بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا شاب قوي البنيان فقال الجلوس لو أن هذا الشاب في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ : (... وإن كان خرج يسعى على أولاده أو أبويه فهو في سبيل الله ﷻ)[1] .

وهذا بيان من رسول الله ﷺ إن السعي على الوالدين في كبر سنهما يعادل الجهاد في سبيل الله ﷻ .

وعقوق الوالدين من أكبر الكبائر . وذلك لقول الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ (الكبائر الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس).

ومن الكبائر أن يشتم الرجل أبا الرجل فيشتم الرجل أباه وأمه .

وذلك لقول رسول الله ﷺ : (إن من الكبائر أن يلعن الرجل والديه . قيل يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه . قال : يسب أبا الرجل فيسب الرجل أباه ويسب أمه).

وعن أبي عيسى المغيرة بن شعبة قال . قال رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات ومنع وأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال).

ويجب على العبد المسلم المؤمن الذي يخاف ربه ويخشاه أن يبر أباه وأمه ويبر خالاته وعماته وأن يبر أصدقاءه وأقارب أبيه وأمه في حياتهم و بعد موتهم لقول عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ: (إن أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه).

---

١ - الكبائر ص ٤٥.

ويقول رسول الله ﷺ فيما معناه إذا ماتت الأم وقف مناد عند القبر وقال (يا فلان ابن فلان ماتت أمك التي كنا نبرك من أجلها فافعل خيرًا نبرك من أجله).

وكان رسول الله ﷺ يبر أصدقاء زوجته خديجة بعد موتها لقوله عن أحد النساء لأم المؤمنين عائشة وهو يوصيها بهذه السيدة ويقول عنها (إنها كانت تأتينا أيام خديجة).

وقد اهتمت جميع الشرائع السماوية ببر الوالدين لما لهما من فضل كبير على الأبناء .

حتى إن الشرع أجاز موافقة الوالدين عند الخروج للجهاد في سبيل الله ﷻ. فعن ابن عباس قال : قال رجل للنبي ﷺ (إِئْذن لي بالجهاد فقال رسول الله أحى أبواك :؟ قال : نعم . قال رسول الله ففيهما فجاهد) [1].

وإن الله يفرج عن العبد الكروب ببره والديه وليس هناك أدل على ذلك من حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار ليستريحوا فانهالت صخرة فسدت فتحة الغار فقال أحدهم نتذكر أعمالنا الصالحة ونتقرب بها إلى الله .

فتذكر الأول : أجر الأجير الذي تركه قبل أن يأخذ أجره منه فحفظ له أجره وأعطاه له بعد سنتين فانفرجت الصخرة شيئا .

وتذكر الثاني : أنه دعا امرأة إلى الزنا لشدة حاجتها إلى الطعام والشراب منه هي وأولادها الأيتام . ولكنه لم يقربها إلا بحق الله وفي الحلال بعد أن تزوجها فانفرجت الصخرة .

---

١ - فتح الباري ٤٩٦ م ١٠ ورواه البخاري ٥٩٢٧

وأما الثالث : فتذكر بره لأمه إذْ ذهب ليحلب لها الشاة ليعود بلبنها لأمه فلما عاد إليها وجدها قد نامت فوقف ينتظرها حتى تستيقظ من نومها وأولاده الصغار يبكون تحت قدميه من شدة الجوع . لكنه كان يخشى أن يطعم أولاده من هذا اللبن قبل أمه فانفرجت الصخرة من على باب هذا الغار أو هذا الكهف وخرجوا ونجوا بالأعمال الصالحة ومنها بر أحدهم والديه.

ولذا يجب علينا بر والدينا قدر الاستطاعة لأن العاق والديه لا يدخل الجنة وذلك لقول رسول الله ﷺ : (لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن الخمر) [1].

قال رسول الله ﷺ : (كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه) أي أن الله يعجل العقوبة في الدنيا وكذلك يوم القيامة لمن يعق والديه .

وفي الصحيحين قال رجل لرسول الله ﷺ : يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة؟ فقال رسول الله أمك .قال الرجل : ثم من؟قال رسول الله : أمك قال الرجل : ثم من ؟ قال رسول الله : أمك . قال الرجل : ثم من ؟ قال : أبوك .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : حمل رجل أمه فوق رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة فقال : يا بن عمر أتراني جازيتها ؟ قال ابن عمر لا ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ولكن أحسنت والله يثيبك على القليل كثيرًا .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :(ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن . دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده).

---

١ - الكبائر صـ ٤٤.

وعن وهب ابن منبه قال : (أوصى الله تعالى إلى سيدنا موسى عليه السلام فقال : يا موسى وقر والديك فإن من وقر والديه مددت في عمره و وهبت له ولدًا يوقره . ومن عق والديه قصرت عمره ووهبت له ولدًا يعقه وقد نصت التوراة على أن من يضرب أبًا يقتل ومن عق والديه يرجم).

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمرة من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض وأن قبره يعصره حتى تختلف أضلاعه)[1] .

ويقول رسول الله ﷺ : أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة : المشرك والزاني والعاق والديه [2].

ويجب أن تكون الأم في الاهتمام الأول قبل الزوجة والأولاد ولعل حديث أم علقمة مع رسول الله وقد كانت ساخطة عليه لأنه كان يؤثر زوجته على أمه رغم أنه كان كثير الصلاة والصيام والصدقة وقد أمر رسول الله بجمع الحطب لحرقه لولا قلب أم علقمة . وهذا جزاء له لأنه كان يؤثر زوجته على أمه وأوقف الله لسانه عند موته عن النطق بالشهادتين لسخط أمه عليه وعندما رضيت عنه أطلق الله لسانه ونطق بالشهادتين عند موته برضا أمه وخوفها عليه رضي الله ﷻ عنه ولولا رضاها لم يرض الله عنه وما نطق بالشهادتين وما دخل الجنة وأمه ساخطة عليه والله ورسوله ﷺ ساخطين عَلَيْه .

والله ﷻ يكافئ العبد الذي يبر والديه في الدنيا والآخرة ولعل قصة البقرة التي أمر سيدنا موسى بني إسرائيل بذبحها هي أصدق دليل على ذلك عندما شددوا

---

١ - الكبائر صـ ٤٨.
٢ - الكبائر صـ ٤٧.

فشدد الله عليهم . وحدد لهم هذه البقرة المراد ذبحها وكانت لرجل فقير كان يبر أمه فاشتروها بوزنها أضعاف الأضعاف ذهبًا لأنه لم يكن هناك بقرة غيرها بنفس هذه المواصفات [1]. وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ... ﴾ [2]

فلما جادلوه شدد الله عليهم وخص الله هذا الرجل الصالح البار لأبيه وأمه بهذه الخصوصية لأن هذه البقرة لم تكن موجودة إلا عنده .

ولذلك جزاه الله بفضل طاعته وبره لأمه وطاعته لله ﷻ خصوصًا أن الله أمر بطاعة الوالدين في كل الأحوال ما عدا الشرك بالله ويجب على الأبناء بر الآباء والأمهات حتى ولو كانوا على غير دين الإسلام وأن يعاملهم معاملة حسنة وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [3]

وفي هذه الآيات إرشاد وتوجيه من لقمان لابنه بأن يتبع سبيل الله بطاعة كل ما أمر الله بطاعته من الأنبياء والرسل . وأولى الأمر والآباء والأمهات لأن في ذلك

---

١ - وصايا الرسول صـ ١١٤.
٢ - سورة البقرة من الآية ٦٧.
٣ - سورة لقمان الآيتين ١٥، ١٦.

اتباعا لله ﷻ والبعد عن كل ما نهى الله عن فعله أو قوله . لأن العباد مصيرهم ومرجعهم إلى الله ﷻ فيحاسبهم على أعمالهم إن كانت خيرًا فخير وإن كانت شرًّا فشر فالله يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء .

لذا وجب علينا أن نراقب الله في الأقوال والأفعال لأنه هو عالم الغيب والشهادة وعنده علم الساعة والفعال لما يريد ومن عصى الله فقد خسر الدنيا والآخرة .

الوصية الثالثة

إقامة الصلاة

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ .... ﴾ [1]

الصلاة هي الصلة بين العبد وربه وهي أول ما يحاسب عليه العبد في قبره وإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله لذلك أوصى لقمان الحكيم بها ابنه وذكرها الله في القرآن الكريم عشرات المرات لما لها من فضل عند الله ﷻ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وذلك لقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ .... ﴾ [2]

والصلاة تطهر القلب كما أن الوضوء يطهر الجسد وذلك لما جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا).

والصلاة صلة بين العبد وربه لقول رسول الله ﷺ فيما معناه :(من أراد أن يكلم الله فعليه بالصلاة ومن أراد أن يكلمه الله فعليه بالقرآن).

والصلاة إلى الصلاة تكفر الذنوب ما لم ترتكب الكبائر، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم ترتكب الكبائر) [3].

---

١ - سورة لقمان من الآية ١٧.
٢ - سورة العنكبوت من الآية ٤٥.
٣ - الكبائر صـ ٨.

والصلاة تقرب العبد من ربه وبها تُقْضى أموره وأعماله فعن ذي النورين الصحابي الجليل عثمان بن عفان قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله) .

ويقول رسول الله ﷺ : الصلاة نور. والصدقة برهان . والقرآن حجة لك أو عليك.

والرجل الذي يعتاد الذهاب إلى المساجد أمر رسول الله ﷺ بأن نشهد له بالإيمان وذلك لقول رسول الله ﷺ : (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان) والله جعل لأصحاب المساجد أفضل المنازل في الجنة .

فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح).

وعن فضل التطهر والوضوء في البيت يقول رسول الله ﷺ : (من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة).

وعن فضل المشي إلى المساجد وكثرة الخطا إليها يقول الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري :(إن أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم . والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرًا من الذي يصليها ثم ينام).

والعبد إذا جلس في المسجد ينتظر الصلاة كان ثوابه عظيما وأخذ الأجر على هذا الانتظار كأنه في الصلاة لقول أبي هريرة ﷺ [1] قال : قال رسول الله ﷺ :

---

١ - رياض الصالحين صـ ٢٥٦.

(لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة) .

والملائكة تصلي على العبد المسلم الذي يحافظ على الصلاة لانتظاره الصلاة لقول رسول الله ﷺ : (الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث . تقول : اللهم اغفر له . اللهم ارحمه).

وعن فضل صلاة الجماعة يقول الصحابي الجليل عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة).

ولم يرخص رسول الله للكفيف الصلاة في بيته فقد جاءه رجل أعمى وهو الصحابى عبد الله بن أم مكتوم وطلب من رسول الله أن يرخص له في الصلاة في بيته فرخص له رسول الله ثم انصرف الرجل ثم دعاه رسول الله ﷺ وقال له :لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد قيل: ومن جار المسجد قال : الذي يسمع الأذان .

والصلاة فيها فوائد كثيرة وخير وفير للإنسان فهي تجعل العبد قريبا من ربه . وتجعله مستجاب الدعاء ، طاهر القلب ، والنفس ، والعقل ، صحيح البدن ، وتجعل في وجهه نورا ، وفي جسمه قوة ، وفي رزقه بركة ، وفي أولاده ثمرة .

وعن فضل صلاة الصبح والعشاء يقول عثمان بن عفان : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله ومن ترك صلاة الجماعة في العشاء والفجر فهو من المنافقين)[1].

---

١ - رياض الصالحين ص ٢٦٦.

فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء . ولو علموا ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا) [1].

لذا وجب علينا المحافظة على الصلاة جماعة في أوقاتها الأولى وذلك لقول الله تعالى:

﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ.... ﴾ [2]

وعن أفضل الأعمال يقول عبد الله بن مسعود ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ : أي الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة على وقتها . قلت : ثم أي .قال :بر الوالدين . قلت: ثم أي . قال : الجهاد في سبيل الله .

والصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين .

ويقول رسول الله ﷺ : (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة) أي المشركين .

والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام وذلك لقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله . وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة . وصوم رمضان . وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا) .

ويقول رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا في دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام .

---

١ - رياض الصالحين ص ٣٦٢.
٢ - سورة البقرة من الآية ٢٣٨.

وهذه وصايا رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل عندما بعثه إلى أهل اليمن فأوصاه رسول الله قائلا : (إنك تأتي قومًا من أهل كتاب فادْعُهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكسائم أموالهم . واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)[1].

ويجب على المسلم أن يلبس أحسن الثياب عنده بعد أن يتطهر ويضع الطيب والعطور إذا أمكن له ذلك عند الصلاة وذلك لقول الله تعالى :

﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ ...﴾[2]

ولا يجوز ظهور العورة في الصلاة لأن ظهور العورة يبطل الصلاة .

وأجاز الله للمسافر سفرًا بعيدًا قصر الصلاة . والجمع بين الصلوات جمع تقديم أو تأخير.

كما أن الله ﷻ صاحب الفضل على عباده يكتب لعبده المريض وهو مريض الثواب على الأعمال التي كان يعملها قبل مرضه والذي منعه عن أدائها المرض مثل الصلاة والأذكار والإنفاق في سبيل الله وغيرها من الأعمال الصالحة التي تقرب العبد من ربه لما كان منه من إسباغ والوضوء والخشوع في الصلاة والتدبر فيها وما كان يصلي من النوافل مثل قيام الليل وصلاة الضحى وتحية المسجد وذلك لقول رسول الله ﷺ عن قتادة قال رسول الله ﷺ : (إذا دخل المسجد أحدكم فليركع ركعتين قبل أن يجلس) [3].

---

١ - خطب الرسول ص ٢٩٥ .
٢ - سورة الأعراف من الآية ٣١.
٣ - فتح الباري ٧١٥ م١ رواه البخاري (٤٤٤) .

وقد وصف الله المؤمنين بالفلاح لأنهم يحافظون على الصلاة وذلك لقول الله تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾[1]

وقد توعد الله الذين يضيعون الصلاة ويسهون عنها بأنهم في وادٍ في قاع جهنم وذلك لقوله تعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[2]

ولقول الله تعالى :

﴿.... أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[3]

لأن من صفات المؤمنين المحافظة على الصلوات في جماعة ولا يشغلهم أي عمل مهما كان الكسب منه وذلك لقول الله تعالى :

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[4]

لأن الله ﷻ لا يبارك في العمل الذي يلهى عن الصلاة . كما أن تارك الصلاة جاحد وكافر بما أمره الله ﷻ .

لقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة)[5].

كما أن تارك الصلاة يكون في أشد أنواع العذاب يوم القيامة باعتراف منه أنه كان تاركا للصلاة وذلك لقول الله تعالى :

---

١ - سورة المؤمنون الآيتان ١، ٢.
٢ - سورة الماعون الآيتان ٤، ٥.
٣ - سورة مريم من الآية ٥٩.
٤ - سورة النور الآية ٣٧.
٥ - فقه السنة صـ ٨٠ م١

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[1]

ومن ترك الصلاة عامدًا متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله ﷻ أي أنه كافر.

وقال ابن مسعود ﷺ (من ترك الصلاة فلا دين له)[2].

وقال ابن عباس ﷺ (من ترك صلاة واحدة متعمدًا لقى الله تعالى وهو عليه غضبان)[3].

لأن الصلاة لها منزلة كبيرة عند الله ﷻ. وليس هناك عمل له ثواب مثل الصلاة لأنها صلة بين العبد وربه وهي أول أركان الإسلام العملية ويقول رسول الله ﷺ (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)[4]

ويقول أنس بن مالك ﷺ : فرضت الصلاة على رسول الله وأمته ليلة الإسراء والمعراج وكانت خمسين صلاة في اليوم والليلة ومازال رسول الله يراجع ربه إلي أن أصبحت خمس صلوات في اليوم والليلة وخمسين في الأجر والثواب.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾[5]

ولقول الله تعالى :﴿ ....وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾[6]

وقد أمر الله ﷻ عباده بالمحافظة على الصلاة وذلك لقول الله تعالى :

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾[7]

---

١ - سورة المدثر من الآيات { ٤٢: ٤٨}
٢ - الكبائر صـ ٢١.
٣ - الكبائر صـ ١٨.
٤ - فقه السنة صـ ٨٦ م١.
٥ - سورة الأعلى الآيتان ١٤، ١٥.
٦ - سورة طه من الآية ١٤.
٧ - سورة البقرة الآية ٢٣٨.

ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص يقول رسول الله ﷺ : أنه ذكر الصلاة يومًا فقال : من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وهامان وأبي بن خلف .

ولفضل الصلاة ومنزلتها عند الله كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة وذلك لقول رسول الله ﷺ (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة)[1].

والله قد خفف الصلاة على أصحاب الأعذار مثل المسافر الذي يجب عليه قصر الصلاة وكذلك المريض الذي لم يستطع الصلاة واقفًا جاز له الصلاة جالسًا . وإذا لم يستطع جالسًا صلى راقدًا إلى أن يصلي بعينه أو بقلبه إن لم يكن غير قادر إلا على هذه الحال من الصلاة . ولذا يجب عدم ترك الصلاة لقول الله تعالى :

﴿ ....إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾[2]

ولقول ابن عباس عن النبي ﷺ : (عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث أسس عليهن الإسلام ، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم ، شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان)[3].

أسأل الله أن يجعلنا من أهل الصلاة المحافظين عليها في أوقاتها وأركانها وسنتها وأن نؤديها كما يجب أن تؤدى وكما يرضي الله ﷻ عنا بها .

---

١ - رياض الصالحين صـ ٢٥٤.
٢ - سورة النساء من الآية ١٠٣.
٣ - فقه السنة صـ ٨٠ م١

الوصية الرابعة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومن وصايا لقمان لابنه ما جاء في قول الله تعالى :

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ..... ﴾[1]

لقد أمر الله ﷻ العبد أن يكون طائعا لله فعالاً للخير ويأمر الناس بفعل الخير ويدلهم عليه لقول رسول الله ﷺ : " الدال على الخير مثل فاعله "[2].

لذلك يجب اتباع الرسول ﷺ في كل خير دعا إليه وذلك لقول الله تعالى :

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ..... ﴾[3]

لأن المسلم للمسلم مثل المرآة . يجب أن يدل أخاه على الخير وفعله ويخبره بثواب هذا الخير إن لم يكن يعلم . وأوجه الأمر بالمعروف كثيرة مثل أن يدل المسلم أخاه المسلم على سُبل الإنفاق في سبيل الله ﷻ أو يدله على أن يساهم في علاج أحد المرضى غير القادرين . أو بناء المرافق العامة مثل المساجد والمدارس والمستشفيات أو إنارة الشوارع المظلمة أو عمل سبل الطعام والشراب وغيرها لأن فعل المعروف يقرب العبد من ربه ويجعل المجتمع قويا متماسكا لذلك نصح هذا الحكيم لقمان ابنه بأن يأمر الناس بالمعروف . ويكون هو أول من يفعل هذا المعروف ، ولا يأمر الناس بالمعروف ويفعل غير ذلك لأن الإيمان مشروط بان يحب العبد لأخيه ما يحب لنفسه .

---

١ - سورة لقمان من الآية ١٧.
٢ - رياض الصالحين صـــ ٤٠.
٣ - سورة آل عمران من الآية ٣١.

وذلك لقول أنس بن مالك ﷺ عن رسول اللهﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[1].

والذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر هم المفلحون في الدنيا وفي الآخرة وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2]

ولقول الله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ... ﴾[3]

والمعروف هو ما عرفه الناس واتفقوا على أنه نافع ومفيد للفرد والمجتمع في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معًا . والمنكر ما أنكره الناس والشرع مثل الكذب والسرقة والغدر والحقد وغيرها من الأقوال والأفعال التي تعود على الفرد والمجتمع بالعديد من الآفات لأن المنكر من فعل الجهلاء وذلك لقول الله تعالى :

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[4]

كما أن الذين لا ينتهون عن فعل المنكر قد لعنهم الله في جميع الكتب السماوية وعلى لسان الأنبياء وذلك لقول الله تعالى :

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[5]

---

١ - رياض الصالحين صـ ٦٧.
٢ - سورة آل عمران الآية ١٠٤.
٣ - سورة آل عمران من الآية ١١٠.
٤ - سورة الأعراف الآية ١٩٩.
٥ - سورة المائدة الآيتان ٧٨، ٧٩.

لأن المؤمنين إخوة يحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم وذلك لقول الله تعالى:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ .... ﴾[1]

ويجب على المسلم إذا رأى منكرًا أن يغيره قدر استطاعته بما لايضره ولا يضر المجتمع. فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان [2].

وقد بايع المسلمون رسول الله ﷺ على ذلك. فعن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله. على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثره علينا وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن نرى كفرًا بواحًا. عندكم من الله تعالى فيه برهان. وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر.

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال. قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم).

وحذر الله تعالى من عدم فعل المعروف. أو أن نأمر الناس بالمعروف ونفعل غير ما نقول وذلك لقول الله تعالى:

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[3]

---

١ - سورة التوبة من الآية ٧١.
٢ - رياض الصالحين صـ ٦٧.
٣ - سورة البقرة الآية ٤٤.

ولقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[1]

ومن ألوان فعل المعروف أداء الأمانة وذلك لقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ... ﴾[2]

وقول المنكر أو فعله هو ظلم للعبد الذي يفعل ذلك وفيه ضرر على المجتمع وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ....وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾[3]

لذا وجب علينا أن نفعل المعروف قدر الاستطاعة لأنه من مكارم الأخلاق يقول رسول الله ﷺ : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وتلك هي أخلاق رسول الله ﷺ لذا يجب علينا أن نقتدي بهذه الأخلاق لقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ عن خلقه (كان خلقه القرآن)[4] .

فكان رسول الله ﷺ قرآنا يمشي بين الناس وعن هذا الفضل يقول رسول الله ﷺ :(أدبني ربي فأحسن تأديبي).

ولذا وجب على المسلم أن يتخلق بخلق رسول الله ﷺ في كافة الأقوال والأفعال اليومية حتى يكون من المفلحين الفائزين برضا الله ورسوله في الدنيا والآخرة . وقد أرسل الله ﷻ جميع الرسل والأنبياء إلى الناس ليأمروا الناس بالمعروف من عبادة الله ، وإقامة الصلاة وحقوق الجار والآباء والأمهات والزوجة والرفق بالحيوان وكل ماله علاقة بالإنسان وأن ينهى الناس عن كل قبيح رذيل يغضب الله ﷻ والرسل أجمعين .

---

١ - سورة الصف الآيتان ٢ ، ٣.
٢ - سورة النساء من الآية ٥٨.
٣ - سورة الشورى من الآية ٨.
٤ - رياض الصالحين ص ١٤٥.

لذا يجب على العبد المؤمن أن يسارع إلى فعل الخيرات وذلك لقول الله تعالى:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[1]

ولقول الله تعالى :﴿ .... فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ..... ﴾[2]

يقول رسول الله ﷺ : (من دل على خير فله مثل أجر فاعله).

ولقول أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا . ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيئًا [3].

ويقول ﷻ :﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ.... ﴾[4]

كما أمر الله ﷻ عباده بالتعاون وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ....﴾[5]

والبر والتقوى هما أسمى أنواع المعروف الذي يجب على المسلم أن يدعو إخوانه إلى هذه الأفعال الطيبة التي تقربه من الله ﷻ ومن الناس .

ومن ألوان الأمر بالمعروف الإصلاح بين الناس وذلك لقول الله تعالى :

﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ ....﴾[6]

وقد جمع الله ﷻ الأمر بالمعروف والأمر به والنهي عن الفواحش في قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[7]

---

١ - سورة آل عمران الآية ١٢٣.
٢ - سورة البقرة من الآية ١٤٨.
٣ - رياض الصالحين صـ ٦٥.
٤ - سورة النحل من الآية ١٢٥.
٥ - سورة المائدة من الآية ٢.
٦ - سورة النساء من الآية ١١٤.
٧ - سورة النحل الآية ٩٠.

الوصية الخامسة

الصبر على المصائب

أما الوصية الخامسة فقد أوصى لقمان ابنه بالصبر عند المصائب وذلك لقول الله تعالى :

﴿ .... وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (١)

الصبر هو مفتاح الفرج . والصبر على البلاء من عزم الأمور أي من الأمور. التي لابد عنها يقول الله ﷻ في الحديث القدسي : قال رسول الله يقول رب العزة فيما معناه سلطت ثلاثا على ثلاث ولولاهن لفسد ملكي . سلط الصبر على المصائب. وسلط السوس على الغلال . والنتان على الميت (٢) .

فلولا الصبر لهلك المصاب . ولولا السوس على الغلال لادخرتها الملوك . ولولا النتان على الميت ما دفن الميت .

والله ﷻ هو الذي خلق الكون وقدر له كل ما يحتاج إليه ولولا الصبر ما كان الثواب والثواب والجزاء يكون على قدر الصبر والصبر عكسه الجزع والصبر يكون عند الصدمة الأولى . وقد ابتلى الله ﷻ الرسل والأنبياء بالكثير من النوازل والبلاء فكانوا صابرين على ما نزل بهم من هذا البلاء .

فقد صبر نبي الله يعقوب عندما فرق أبناؤه بينه وبين ابنه يوسف لحقدهم عليه وقال الله تعالى :

﴿ .....فَصَبْرٌ جَمِيلٌ .... ﴾ (٣)

---

١ - سورة لقمان من الآية ١٧.
٢ - وصايا الرسول صـ ٢٤١.
٣ - سورة يوسف من الآية ١٨.

فرد الله إليه ابنه بهذا الصبر.

وقد صبر نبي الله سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما جمع له قومه الحطب وقيدوه ووضعوه في النار فجعل الله عز وجل له النار بردًا وسلامًا.

وهذا نبي الله سيدنا نوح عليه السلام الذي ظل يدعو قومه إلى عبادة الله عز وجل فلم يؤمنوا فصبر عليهم فأمره الله بصنع السفينة، فزرع الشجر وصنع السفينة ونجاه الله بهذا الصبر من الطوفان. الذي أهلك الله به عز وجل هؤلاء الكافرين من قومه.

وهذا هو نبي الله أيوب الذي ابتلاه الله في ماله وأولاده وداره ونفسه بأن أصابه المرض حتى أهلك فيه كل شيء. واجتنبه أهله وأصحابه وجيرانه حتى إن أهل قريته أخرجوه منها إلى مكان خشية أن يصابوا منه بالأمراض وقالوا (لو علم رب أيوب فيه خيرًا لشفاه) لكنه صبر على هذا المرض وما كان من قومه فشفاه الله ورد إليه ماله وأولاده وكل ما ذهب عنه وأكثر.

وهذا هو رسول الله ﷺ فقد كان صابرًا على أهل مكة وإيذائهم له ولأصحابه إلى أن أخرجه الله من بينهم وحفظه من أذاهم.

والبلاء يكون على قدر الدين وأكثر الناس بلاء: الأنبياء. ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، والمرء يبتلى على قدر دينه ولذلك كان هذا الحكيم لقمان قد أراد أن ينقل إلى ابنه. وهو أعز الناس إلى قلبه خلاصة تجاربه في الحياة وتجارب السابقين فأمره بالصبر.

ولذا يجب على كل منا الصبر على ما نزل به من مرض. أو ضيق العيش أو الزوجة غير الصالحة. أو الولد العاق لأبويه. أو الجيران أو كل ما قدر لنا في هذه الحياة حتى نكون من الذين يرضى الله عنهم بهذا الصبر وذلك لقول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ .... ﴾[1]

ولقول الله تعالى :﴿ .... إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[2]

فهذا هو جزاء الصابرين ونعم الثواب من الله ﷻ لأن هذا البلاء يكون اختبارًا من الله ﷻ وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3]

وليس أدل على ثواب الصبر الجزيل مما فعلته السيدة هاجر أم نبي الله إسماعيل عندما حملها زوجها سيدنا إبراهيم هي وابنها الرضيع إلى جبال مكة دون جليس أو ونيس فكان قولها (لن يضيعنا الله) وبالفعل فجر الله ﷻ لها الأرض وجعل لها عين [زمزم] ورزقها بعد ذلك بإحدى قبائل العرب لتعيش معها . فهذا جزاء الصابرين .

ويجب علينا أن نستعين على قضاء الحوائج بالصبر والصلاة وذلك لقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[4]

والصبر ضياء للعبد يوم القيامة لما روى عن رسول الله ﷺ (الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها).

---

١ - سورة آل عمران من الآية ٢٠٠.
٢ - سورة الزمر من الآية ١٠.
٣ - سورة البقرة الآية ١٥٥.
٤ - سورة البقرة الآية ١٥٣.

وعن فضل الصبر على المرض خصوصًا من كف بصره يقول الصحابي الجليل أنس بن مالك سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الله ﷻ قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته عنهما الجنة)[1] .

وعن فضل الصبر يقول الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه).

وعن ابن مسعود قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك فقلت له يا رسول الله : إنك توعك وعكًا شديدًا . فقال رسول الله ﷺ : إني أوعك كما يوعك رجلان منكم . قلت إن لك أجرين ؟ قال أجل كذلك . ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته . وحطت ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها .

ويقول رسول الله ﷺ : عجبًا للمؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فدخل الجنة . وإن أصابته ضراء صبر فدخل الجنة . والصابر والشاكر في الجنة [2].

وكان أحد الصالحين إذا لم ينزل به مرض وغيره بكى . فلما سئل عن ذلك قال إن الله نسيني .

ويقول الصحابي الجليل أبو هريرة ﷺ : قال رسول الله ﷺ : (من يرد الله به خيرًا يصب منه) [3].

والصبر على ما نزل من البلاء له جزيل الثواب من الله على الصبر في الدنيا والآخرة فتقول الصحابية الجليلة أم سلمة لما مات أبو سلمة بكيت فقال

---

١ - رياض الصالحين صـ ٢٠.
٢ - رياض الصالحين صـ ٢٠.
٣ - رياض الصالحين صـ ٢٢ .

رسول الله ﷺ: لي اصبري واحتسبي لعل الله يبدلك خيرًا منه فقلت : ومن خيرٌ من أبي سلمة فقد كان نعم الزوج . وما هي إلا أيام بعد أن أوفت عدتها ورسول الله ﷺ يطلبها للزواج فقلت [حقًّا إنه خيرٌ من أبي سلمة] وبذلك أصبحت واحدة من أمهات المؤمنين وزوجة رسول الله ﷺ في الدنيا وفي الجنة .

وعن ثواب الصبر على البلاء يقول الصحابي الجليل معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : (من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء).

الوصية السادسة

عدم التكبر على الناس

قال تعالى :

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[1]

التكبر على الناس شرك سواء كان هذا الكبر بالقول أو بالفعل أو بالمال أو الملبس أو المشرب أو النظر أو غيرها ومن وسائل التكبر على الآخرين الذين يسول لهم الشيطان الكبر والافتخار على الناس بما آتاهم الله من فضله الكثير والكثير. لذلك حذر لقمان ابنه من أن يتكبر على الناس حتى في المشي لأن الكبرياء على الناس يغرس في قلب الآخرين الحقد والغدر والكراهية والعديد من الآفات التي نهى الإسلام عنها.

وألا يسرع في المشي ويتهرب من الآخرين إذا أراد الله أن تكون على يديه قضاء حوائج هؤلاء الفقراء الضعفاء فهذا من التكبر على خلق الله ﷻ.

والعجب بالنفس والتبختر من الكبرياء وقد ورد أن رجلا كان يسير في برده يتبختر على الناس فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة [2]

ومن التكبر إسبال الإزار لما جاء في الحديث الشريف (إياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ولا يحبها الله)[3].

---

١ - سورة لقمان الآية ١٨.
٢ - قصص القرآن صـ ٣٥١.
٣ - وصايا الرسول صـ ٤٦.

بل يجب على العبد أن يسير في تواضع لله الذي خلقه وسخر له كل ما في هذا الكون وإن كان الله قد رزقه المال أو الأهل أو المنصب أو الصحة وهو يفتخر بهم على الناس فإن الله ﷻ قادر على أن يذهب هذا النعيم عنه إما بزوال هذا النعيم أو زوال العبد نفسه .

كما أن الناس الذين يتكبر عليهم ويفخر بما آتاه الله من فضله فإن الله ﷻ قادر على أن يرزقهم مثل ذلك وأكثر وما رزقه الله له وهو يفتخر على الناس. به ما هو إلا اختبار من الله ﷻ لعبده فإن شكر كان من أهل الجنة وإن استغل ذلك فيما يغضب الله كان من الذين سخط الله ﷻ عليهم والتكبر من أكبر الكبائر.

وقد استعاذ سيدنا موسى عليه السلام أن يكون من المتكبرين كما عاذ بربه من المتكبرين ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾[1] وقال تعالى :﴿ .... إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾[2]

وقد كان الكبرياء سببا في طرد إبليس من الجنة لأنه تكبر أن يسجد لآدم كما أمره الله ﷻ وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3]

يقول رسول الله ﷺ : قال تعالى :

(العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما ألقيته في النار)[4]

---

١ - سورة غافر الآية ٢٧.
٢ - سورة النحل من الآية ٢٣.
٣ - سورة البقرة الآية ٣٤.
٤ - الكبائر صـ ٨٤.

ويقول رسول الله ﷺ لأصحابه : (ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر) [1] .

وعن ابن عمر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من رجل يختال في مشيته ويتعاظم في نفسه إلا لقى الله وهو عليه غضبان).

يقول رسول الله ﷺ : (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكذب) والمسبل هو الذي يطيل ثيابه أو سراويله حتى تكون إلى القدمين لقول رسول الله ﷺ : (ما أسفل الكعبين من الإزار فهو في النار).

وشر الكبر العالم الذي يتكبر على الناس بما آتاه الله من العلم كما يجب على العالم أن يكون متواضعا خشية لله لما آتاه الله من فضله من العلم لأنه يجب على العالم أن يخشى الله ويخشع لما آتاه الله من العلم .

والمتكبر لا يدخل الجنة لقول رسول الله ﷺ : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

لذا يجب علينا التواضع خشية لله ﷻ لأن الإنسان وما آتاه الله . فكل ذلك فان ومصيره إلى الزوال والهلاك ولا يبقي إلا وجه الله ﷻ ذو الجلال والإكرام .

والله ﷻ قد خلق الجنة بما فيها من نعيم خالد للمؤمنين وقد حرمها الله على المتكبرين .

---

١ - الكبائر صـ ٨٥.

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1]

وعن حارثة بن وهب قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول : ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر).

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ (احتجت الجنة والنار فقالت النار : فِيَّ الجبارون والمتكبرون . وقالت الجنة فِيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم فقضى الله بينهما إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء)[2].

يقول رسول الله ﷺ : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم (شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر)[3].

وليس هناك أجمل للنفس أمام الله والناس من التواضع لله لصفاته ونعمه على عبده الذي خلقه وسواه بيده .

اللهم ارزقنا التواضع الذي يرضيك عنا .

---

١ - سورة القصص الآية ٨٣.
٢ - البداية والنهاية ص ٢٤٥م١.
٣ - رياض الصالحين صـ ١٧٤.

الوصية السابعة والثامنة

القصد في المشي وغض الصوت

أما الوصية السابعة والثامنة التي أوصى بها هذا الحكيم لقمان ابنه هي القصد في المشي وغض الصوت وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (١)

والوصية السابعة قصد لقمان من ورائها أن ينصح ابنه خير النصائح وهي الاعتدال في السير فلا يسرع في السير فيتسبب في إيذائه ولا يبطئ في السير فيؤخره هذا عن إنجاز الأعمال وهذا المقصود بقوله تعالى :(واقصد في مشيك) أما المقصود بقوله تعالى :

﴿ ..... وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (٢)

هذا تحذير من إيذاء الآخرين بالصوت العالي المرتفع الذي يؤذي الآخرين مثل صوت الحمار. وهذه نصيحة بغض الصوت مثل غض البصر الذي يؤذي الآخرين ويتألمون من ذلك لأنه يريد أن يغض ابنه صوته حتى ينتقل من الصفات الحيوانية إلى الصفات الإنسانية . خصوصًا أن غض الصوت من مكارم الأخلاق (٣) وصفات الأنبياء والصالحين والمؤمنين وهذا تكليف بالخشوع وخفض الصوت مثل التواضع والقصد في السير إلا ما خرج من الإنسان بعذر مثل [العطاس] وغيره مما هو

---

١ - سورة لقمان الآية ١٩.
٢ - سورة لقمان من الآية ١٩.
٣ - تفسير فخر الدين الرازي صـ ٥١٣ م١٢.

ليس للإنسان إرادة عليه أو دعوة المسلمين لقتال الفئة الضالة أو الاستغاثة من لص وغيره من الأعمال التي تحتاج إلى رفع الصوت فلا حرج من رفع الصوت لما فيه من المنافع أو رفع الضرر وهذه الوصايا نافعة لكل ابن ولكل فرد مسلم في هذا المجتمع لما فيه من سلامة الفرد والمجتمع من هذه الآفات ولما تقربه من ربه ﷻ .

لذا يجب على المسلم أن يكون لين الكلام . وأن يختار الألفاظ الطيبة غير الحادة وذلك لقول رسول الله ﷺ : (اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة).

ويقول رسول الله ﷺ : (الكلمة الطيبة صدقة).

وقال تعالى :﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1]

وقد أمر الله ﷻ الصحابة بخفض الصوت عند رسول الله ﷺ و الاقتداء برسول الله ﷺ في الفعل والقول والكلام ولين الكلام وذلك لقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ .... ﴾[2]

ولذا وجب على المؤمن أن يكون صوته خاشعا لله عند الكلام وخصوصًا عند قراءة القران الكريم وكذلك في الأذكار والتضرع إلى الله ﷻ لعله يكون في هذا الخضوع والذلة قد تقرب إلى الله ﷻ ونسأله الهداية والقبول .

---

١ - سورة الشعراء الآية ٢١٥.
٢ - سورة الحجرات من الآية ٢.